

الحياة

هي السرّ الذي حارت في كشفهِ بصائر الحكماء ووقفت من دون كُنهِهِ مدارك العلماء فهو الظاهر الخفيّ الذي حُجبت عن الوقوع عليهِ ثواقب الأبصار والقريب البعيد الذي قصّرت دون البلوغ اليهِ سوابق الافكار وما عسى ان يدرك الانسان من امرٍ لا صورة لهُ في الوجود فتتعلق بهِ الحواس ولا ماهيّة لهُ في التصوُّر فيتناولهُ القياس انما هي افعالٌ غاب فاعلها وآثارٌ اشتبهت دلائلها فلا تزداد على البحث الا التباساً وإشكالاً ولا تزيد الباحث فيها الّا حيرةً وضلالاً

ولقد طالما كان امر الحياة شغلاً شاغلاً لأرباب العقول الكبيرة في ماضي العصور وحاضرها فلم يدَعوا سبيلاً من طُرُق الاستدلال العقلي والمشاهدات الحسّية الّا سلكوهُ . وقد تباينت اقوالهم في تعريفها وافترقوا على مذاهب يتعذر الجمع بينها ولا تخرج بجملتها عما يوحيهِ الظاهر من

الوجوه المختلفة التي تتنازعها الظنون من كل طبقة . قال أرسطو هي القوة الذاتية التي تتمّ بها التغذية والنماء والدثور. ويعني بالذاتية العاملة بذاتها على ما هو معلوم من مذهبهِ ولا يخفى ان هذا زائد على التعريف لانهُ من باب الحكم الذي لا مدخل لهُ في التعاريف . وخالفهُ ابن سينآء فعرَّفها بانها القوة الحافظة لاجزآء الجسم من التفرق والبلى . قال وهي غير قوة الحسّ والحركة وغير قوة التغذية بدليل ان الحياة توجد في العُضو المفلوج مع فقدهِ قوة الحسّ والحركة وفي العضو الذابل مع عدم قوة التغذية فيهِ . وقال بيشات هي مجموع الوظائف المقاومة للموت وهو نحو تعريف ابن سينآء . وقال غيرهُ ان الحياة ليست بعاملٍ متصرّف وانما هي نتيجة العمل الآليّ في الجسم وهو مذهب طائفةٍ من علمآء منافع الاعضآء . ولا يخفى ما في هذا القول من الابهام اذ لم تبيَّن فيهِ حقيقة هذا العمل ولاما الفرق بينهُ وبين العمل المختصّ بالموادّ غير الآليّة كالتبلوُر مثلاً . وهناك اقوالٌ اخر لا نطيل باستقصآئها وكلها ترجع الى ذكر شيء من الافعال الملابسة للحياة او مما يميز الحياة عن سائر القوَى العاملة في الحيّ دون شرح ماهيتها وهو الامر الذي تقاصرت عنهُ الافهام ولم تبلغ اليهِ مدارك العلم والفلسفة. ولذلك ذهب كلود برنار الى ان الحياة مما لا سبيل الى تعريفهِ من طريق الحدّ ولكن لا بدَّ من الوقوف فيها عند الرسم اي ان يُجتزأ بوصف الاعمال الحيوية التي يتميز بها الحيّ عن غير الحيّ

على ان وصف الاعمال الحيوية ليس بالامر القريب المنال ولا هي مما يستوي فيهِ جميع الاحيآء لبُعد ما بينها من التفاوت باعتبار كثرة الاعمال

وقلّتها وما يعرض فيها من التركيب والتداخل لكثرة الأنسجة وتنوُّع اعمالها ولا سيما في الانواع الراقية في سُلَّم الحيوانية او النباتية . وحينئذٍ فلا بدَّ من المصير الى ابسط تلك الاعمال واعمّها مما يتناول الاحيآء بانواعها ويشمل الانسجة على اختلاف تركيبها وليس عندنا وصفٌ يجمع ذلك كلهُ الاَّ التمثيل اي تمثيل الاعضآء للغذآء واحالتهُ الى نسيجها . وذلك ان جميع الاجسام الحية مؤلّفة من حُوَيصِلات متضامّة ومنها ما لا يشتمل الا على حويصلة واحدة وكل واحدة من هذه الحويصلات مفردةً كانت او داخلةً في تركيب الجسم تبلغ تمام كيانها وتثبت عليـهِ بما تمثّلهُ من الموادّ العنصرية او العضوية التي تمتصها مما حولها وتحيلها الى مادّة نسيجها . ثم ان كل عملٍ تمثيلي يقارنهُ عملٌ تحليلي بهِ يُفرَز من الموادّ ما لم يمثَّل او ما فقد صفتهُ التمثيلية من الموادّ الهالكة وبهذين العملين يتميز الجسم الحيّ عن الجماد . وحينئذٍ فالحياة تُرسَم بانها القوّة التي يتمّ بها التمثيل والتحليل وهذا الرسم موافقٌ لتعريف ارسطو الذي سبق ذكرهُ في صدر هذا المقال وهو يتناول الحيوان والنبات . وبقي ورآء ذلك ما يتمّ في الانواع الراقية من النمآء والتوليد والحسّ والحركة وهي امور كمالية تتفاوت بين نوعٍ وآخر ويقتصر النبات منها على النمآء والتوليد والحيوان يتناول الجميع

على ان ما ذُكر من خصائص الحيوان انما هو اغلبيٌّ لا عامٌّ فان من طبقاتهِ الدنيا ما لا يتعدّى الحياة النباتية ومثل هذا يشكل التميز بين كونهِ حيواناً او نباتاً ولذلك لا يمكن ان يوضع حدٌّ معلوم يفصل بين افق النبـات وافق الحيوان . اما الفرق بين نمآء الاجسام العضوية وما يشبه

النمآء في البلّورات المعدنية فهو أن البلّورة تنمو من الخارج بان يتراكب عليها اجزآءٌ اخر هي من نوع مادّتها والحويصلة من الجسم العضويّ انما تنمو من داخلها بما تجهزهُ لنفسها من الموادّ وتحيلهُ الى مماثلة تركيبها . وهناك فرقٌ آخر في شكل كلّ من الطرفين فان البلّورات لاتكون الّا ذات زوايا وبخلافها الاجسام العضوية فان اطرافها تكون الى الاستدارة . وفضلاً عن ذلك فان الموادّ القابلة التبلوُر لا تدخل في تركيب انسجة الاجسام الحيّة واذا اتفق ان تدخل البنية مع الغذآء لم تمثل فيها وكانت من جملة الفضلات التي تدفعها الى الخارج

واذا رجعنا الى الاجسام ذات الحويصلات المتعددة كان الفرق اعظم من ذلك بما لا يقاس لما هناك من تعدُّد وظائف الحويصلات واختلافها. واعتبر ذلك في ذوات الأَثدِي مثلاً فان من الحويصلات فيها ما يتألف لبنآء العظام ومنها ما يتألف لبنآء العضل او الاوعية الدموية او الكبد او الكليتين او العصب او غير ذلك ثم ان الكرُيّات الدموية التي هي من جملة الحويصلات تنتقل في خلال هذه الاعضآء كلها تحمل اليها الاكسيجين والموادّ الغذآئية وتحمل عنها الفضلات التي لا خير فيها. وكل واحدة من هذه الحويصلات على انواعها لها عملٌ لا تتعدّاهُ وهي تنمو وتحيا حياةً مستقلّة وتتولد وتموت فيحلّ غيرها محلها بحيث ان المادّة التي يتركب منها الجسم لا تبقى فيهِ ولكنها تمر في خلال انسجتهِ وتخرج منها فيخلفها سواها حتى يقال ان جسم الانسان لا تاتي عليهِ بضع سنوات حتى يتغير باسرهِ فلا يبقى فيهِ جوهرٌ واحد مما كان من قبل . وكذا يقال

في الحويصلات التي يتألف منها فانها تحيا فيهِ وتموت وتتبدل بغير انقطاع وذلك بدون ان تتوقف الانسجة التي تتركب منهـا عن العمل لحظة . فالحياة والموت مستمرّان في الجسم على الدوام مع ان ادقّ اجزآئهِ تبقى على حالها لا يقع فيها ادنى خلل في صورتها ولا عملها وكل حويصلةٍ جديدة تحلّ محل القديمة وتخلفها في جميع خصائصها لا تشذّ عنها في شيء

لا جَرَم ان ثبوت الجسم على حالة واحدة مع هذا التبدُّل الدائم ومع كثرة اختلاف الاجزآء المركب منهـا وتنوُّع وظائفها لمن عجيب الامور واعجب منهُ ان جميع الحويصلات التي يتألف منها الجسم تنبت في الاصل من حويصلة واحدة فلا تمرّ بضعة اشهر بل بضعة اسابيع حتى تبلغ ألوف الملايين وتتباين اشكالاً ووظائف فيتركب من مجموعهـا اجهزة واعضاء لا تختلف في شيء عن حويصلات الاصل . ولا محل هنا لوصف كيفية تولد هذه الحويصلات بعضها من بعض وبيان طُرُق تطوُّرها مما اطال فيهِ اصحاب علم الهِستولوجيا اي علم الانسجة ومما لا يتعدى مجرَّد وصف الناموس الذي يجري عليهِ دون الالمام بعلة هذا التولد والتطوُّر والعامل فيهما

وقد اشتغل علمآء القرن التاسع عشر في البحث عن سر الحياة وظهورها في بعض السائلات العضوية وما يترتب على ذلك من امر التولد الذاتي الاّ ان مباحثهم لم تسفر عن حقيقة ثابتة لتعارُض الادلّة وعدم ابتنآئها على اساسٍ راسخ ولبث الخلاف بينهم حتى جآء پستور في اواخر القرن فاثبت وجود الجراثيم المنتشرة في الهوآء وان كل ما يوهم انهُ متولد من تلقآء نفسهِ هو في الحقيقة من نقف تلك الجراثيم ومذ ذاك انقلب العلمآء الى

الظل والبحث عن سببها. والمراد بهذه الخطوط طرائق متموجة من الظل يتخللها طرائق من النور تظهر قبل تمام الكسوف او بعده بدقائق قليلة وتنتقل على وجه الارض متتابعة بسرعة ولذلك تسمى الخطوط الطيّارة ايضاً . والوفد الثالث انكليزي يتقدمهُ الدكتور رينولدس وهو موكل برصد الاكليل الذي يظهر محيطاً بالشمس عند تمام الكسوف وما يحدث عنهُ من التأثير في الارض . وهناك تحقيقات أُخر تتعلق بجوار الشمس اهمُّها الكشف عن وجود جوّ لعطارد والبحث عن السيّار الذي ذكرهُ لُفرّياي ولُومِس وغيرهما بين الشمس وعطارد مما لم يتحقق وجودهُ الى الآن

وقد تألفت وفود أُخر من العلماء تفرقت في مواضع مختلفة على خطّ الكسوف التام فانتشر فريقٌ منهم في اسپانيا وآخر في كندا وكل واحد من هذه الوفود استصحب معهُ جميع آلات الرصد والتصوير حتى اذا رجعوا الى مواطنهم وطبعوا الرسوم التي يأخذونها قابلوا بعضها ببعض واستثبتوا تلك الحقائق من مجموعها . فاذا وجدوا فرقاً بين صورة الاكليل مثلاً في كندا وصورتهِ في اسپانيا او أسوان عرفوا ان شكلهُ قد تغير في اثناء المدة التي عبر فيها الكسوف من احد هذه المواضع الى الآخر . وكذا اذا رأوا صورة كوكب الى غربيّ الشمس او شرقيّها في الصورة التي اخذوها في أسوان ورأوا صورة ذلك الكوكب في الصور المأخوذة في الموضعين الآخرين وقد اختلف موقعهُ بالقياس الى الشمس قرباً او بعداً علموا انهُ السيّار الذي يبحثون عنهُ وان لم يختلف موقعهُ بين صورة واخرى

جزموا بانهُ من الثوابت . على انهُ قد يتفق ان لا يُرَى البتة فلا يُقطَع بعدم وجودهِ لاحتمال ان يكون في اوان الكسوف امام الشمس فيكون محجوباً عنا بجرم القمر او وراءها فيكون محجوباً بها . ومهما يكن فان هذا وغيرهُ من الامور المشار اليها لا يتحقق الا بعد طبع الصور المختلفة في الامكنة الثلاثة كما قدَّمناهُ

والذي علمناهُ الى الآن من نتائج بحثهم لا يتعدى وصف مقدّمات العمل وشيءٍ يسير مما يدلّ على مبلغ نجاحهم فيهِ . فمن ذلك ما جاءَ في رسالةٍ لمكاتب جريدة التيمس الانكليزية في أُسوان نلخصهُ في هذا الموضع حتى لا يفوت القرّاء علمٌ بامرٍ من اشهر الامور التي عُني بها العلماء في هذه السنين

قال ان الهواء كان على أحسن ما تمنى الراصدون في اسوان يوم الكسوف وكان الجوّ خالياً من الغيوم فجاءَت الصور على اتمّ ما يرام من الدقة والوضوح ولكن النتائج ستبقى مجهولة الى ان يرجع العلماء الى بلدانهم ويطبعوا رسومهم ويبدوا احكامهم بعد المقابلة بينها . وقد ابقى الروس الصور التي اخذوها لتُكشَف في بطرسبرج واما الاساتذة الاميركان فكشفوا صورهم في اسوان والانكليز كشفوها في مصر لان قلم المساحة الجيولوجية التابع للحكومة المصرية عرض غُرَفهُ المظلمة في مصر على الدكتور رينولدس فوجد انها فسيحة قليلة الحرّ فكشف صورهُ فيها ولم يجد شيئاً من الصعوبات التي تعترض المصورين حين تعلو درجة الحرّ . وقد عانى الدكتور هسي الاميركاني في اسوان كثيراً في سبيل غايتهِ لانهُ

كان يكشف صوره ُ في أبرد ساعات الليل وكان يؤتَى بالثلج مقادير وافرة ليبرّد بها غرَفهُ المظلمة فلم يتلف من صفائحهِ غير واحدة وظهرت البقية على تمام الوضوح

على ان فوز العلماء في اسوان غير كافٍ لبلوغ النتيجة المطلوبة لان هذه النتيجة تتوقف على فوز بقية الراصدين في كندا واسپانيا وعلى وضوح الصور في المواضع الثلاثة حتى تمكن المقابلة المطلوبة بين الرسوم . وقد حبطت المساعي في كندا وفي اسپانيا جميعاً لان الغيوم اعترضت الاكليل ساعة الكسوف فلم يمكن تصويره ُ واضحاً كما امكن في اسوان واذ ذاك فلا بد ان يُرجأ موعد الحكم في أمر الاكليل الى ان تكسف الشمس كسوفاً كليًّا مرةً اخرى فيحاول القوم الظفر بما فاتهم هذه المرة بعد ان استعدّوا لهُ هذا الاستعداد الكبير . على ان الغيوم التي في اسپانيا كانت خفيفةً فهم يؤمّلون ان يظهر في الصور من خلالها ما يحقق لهم وجود السيّار الجديد ان كان ثمة سيّار

وكان اكثر اشتغال الوفد الاميركاني بامر خطوط الظلّ والبحث عن حقيقتها وسببها مما اختلفت فيهِ اقوال الباحثين السابقين وكلّ الذي هم عليهِ الى الآن انها ظواهر سائرة تنتقل فوق سطح الشمس واما جهة سيرها ومبلغ سرعتها وتأثير وجودها فمما لم يتوصلوا الى معرفتهِ وفيما يذهب اليهِ بعضهم انها تنتقل تبعاً لحركة الرياح . وقد ظهر من الصور التي أُخذت في اسوان انها كانت على غاية البطء ويقول الاستاذ هسي ان الريح كانت ساكنة في اسوان ساعة الكسوف فهو يعلل بطء انتقالها بما ذُكر . اه

وجاء في بعض المجلات الفرنسوية ان اكثر الاماكن التي قصدها وفود العلماء لرصد الكسوف المذكور كانت السماء فيها غائمة او ذات دجن او عاصف او ضباب او مطر فلم يستطيعوا في الاماكن التي كانت كذلك ان يثبتوا شيئاً. غير ان الجوّ كان صافياً في صَفاقُس وبرشلونة وبَلَنْسية فظهر الاكليل باهر اللمعان وكانت النتوءات المتشعبة منهُ ظاهرة للعين المجردة . وقد هبط بعضهم بئراً في پواسيّ عمقها عشرون متراً ليراقب فيها تأثير الكسوف على الآلات المغناطيسية وكان قد راقب حركة الابرة مدة عشرة ايام قبل حدوث الكسوف ثم عاد الى مراقبتها عدة ايام بعدهُ فظهر لهُ ان الانحراف قد حدث فيهِ اضطراب في مدة الكسوف وتذبذبت الابرة فيما تبلغ سعتهُ ٤ وكذلك الميل حدث فيهِ تغيُّر محسوس . وروقبت الحرارة في ثلاثة مواضع فوُجد انها هبطت في اوان الكسوف مقدار درجةٍ ونصف

هذا جُلّ ما وقفنا عليهِ الى الآن من نتائج هذا العمل الكبير واذا انتهى الينا بعد ذلك ما يهمّ الاطّلاع عليهِ بادرنا الى نشرهِ افادةً للقرآء

اكتشاف القطب

بقلم حضرة الكاتب الاريب اسكندر افندي شاهين صاحب جريدة الرأي العام ورئيس تحرير جريدة الوطن

قالوا ان ملوك الزمان وامرآءهُ حولوا الفكر الى القطب واهتموا لاكتشافهِ اهتمام بقية الباحثين حتى ان الدوك دورليان وهو الذي يطالب بتاج دولة الفرنسيس دأب من أشهر على إعداد باخرة تحملهُ الى ذلك

الصقع أو ما حواليهِ . وسبقهُ الى مثل هذه الهمة امير مشهور من آل ساڤوا هو الدوك دابروزي ابن عم ملك الطليان يقال انهُ بلغ اقصى ما بلغ السائحون في دائرة الشمال . وأهمُّ منهما ملك البلجيك ليوپولد الثاني فانهُ اعلن بالامس انهُ تولى زعامة الباحثين والساعين في اكتشاف القطبين وطلب اليهِ كلَّ ذي علم وخبرة بهذا الشأن ليشاورهم في الامر وهو يرجو ان يتم اكتشاف القطبين او احدهما على يديهِ

ولقد طال زمان البحث عن القطب الشمالي والسعي في الوصول اليهِ وراحت نفوس ونفائس لا حصر لها في هذه السنين فما زال القطب الشمالي من قدم غاية اهل العزم من الفرنجة يفعل في عقولهم فعل الجاذب الساحر ويجرهم الى جهتهِ فيهلك بعضهم في سبيل الاكتشاف ويعود البعض بحكايات قليلة عما رأوا من الثلج والجليد وما انتابهم من آيات الهول والعناء قبل الرجوع الى الاوطان . فقصتهم واحدة عرفها الجمهور والفها ولكنهم ما برحوا يعاودون الكرّة الى هذا القطب على غير جدوى أو نفع معروف . وقد سئل عميدهم الدكتور نانسن وهو النروجي الذي سبق كل ساعٍ في الوصول الى القطب الشمالي عما يدعو الناس الى هذا الهوس ويجرهم الى المخاطرة في امرٍ لا نفع منهُ عاماً بعد عام فقال انهُ عناد الآدميين لا يطيقون ان يبقى امام عيونهم مثل هذا السرّ فلا بدّ لهم من الوصول الى القطب يوماً ولو كلفهم الوصول فوق ما يحسبون . والنفع من اكتشاف هذا القطب ينحصر في رجوع الناس عنهُ بعد بلوغهِ والتغلب على مصاعب طريقهِ واماّ وهم لم يبلغوهُ فلا نفع من نصحهم بالعدول .

ويلوح لنا ان الرجل اصاب في قولهِ فان ابن آدم مَسُوق بحكم طبعهِ الى المخاطرة في سبيل العلم بالمجهول فما دام القطب محتجباً عن الانظار ظلت النفوس متعلقة على رؤيتهِ واما اذا رآهُ بعضهم فان هذا الشغف ينقضي زمانهُ وتبطل ضحايا المتمدنين على مذبح الاكتشاف القطبي . فالذي يهتدي الى بلوغ القطب يوماً يُعَدُّ خادماً للناس ومنقذاً لنوابغهم من هذا الخطر الجاذب الذي يودي ببعضهم في كل عام

والظاهر ان زمان هذا السرّ الساحر للعقول قد قرب من الختام لان ملك البلجيك لم يُعنَ بامرهِ ويعلن انهُ تولى رئاسة الباحثين عن طريق القطبين الّاوعزم الناس على بلوغ هذه الغاية اصبح امراً لا بدَّ منهُ في المستقبل القريب . وقد قام الباحثون الي القطب من عدة جوانب حتى ان في جوارهِ الآن بعضاً منهم مثل اوتو سفردروب الاسوجي وروبرت پيري وادورد بولدون الاميركيين والكبتن برنييه الكندي وسيقصدهُ الدوك دورليان بعد قليل وقد يقوم في اوائل الصيف القادم غير هؤلآء بعد ان صار زعيم المكتشفين ملكاً وقويت العزائم وبدأ اصحاب الملايين ينفقون ألوفهم في هذا السبيل

وطُرُق الوصول الى القطب الشمالي ثلاثة أولها طريق الجليد فوق البر والبحار المتجمدة وثانيها طريق الهوآء وثالثها طريق البحر من تحت سطح المآء فهم يحاولون الوصول بكل هذه الطرق الثلاثة . فاما طريق البر فقد طرقهُ معظم السائحين وبلغ فيهِ نانسن النروجي ابعد الغايات ولكنهُ قصر عن ادراك القطب والوقوف فوق تلك النقطة التي تُعَدّ مركز

الارض وموضع القوة الجاذبة لنفوس المكتشفين . فقام بعده ُ الكبتن اوتو سفردروب في سفينة زميلهِ نانسن ليسير بها حيث يمكن السير وينجز بقية السفر في الزحافات على الجليد تجرها كلاب الشمال وهي اذا أُحسن تدبيرها قوية على مثل هذه الاعمال . وقد ذهب الرجل من طريق جُرينلاند وفي جهة الشمال الغربي من شطوطها وقد مرَّت اعوام والناس لا تدري ماذا تمّ لهُ ولرفاقهِ ولكنهم يرجحون انهُ اذا قصّر عن بلوغ القطب راد أنحاء جُرينلاند وهي بلادٌ مجهولٌ اكثرها الى الآن ولعلهُ يرجع منها ببعض الشيء المفيد . وقد استعدّ سفردروب للبعد ٥ سنين في مثل هذه السياحة واخذ معهُ مئة كلب لجرّ العربات الزحّافة وهو على ما يقال اقدر المكتشفين في هذا الزمان على احتمال اهوال الشمال . وقد ذهب الكبتن پيري الاميركي بعد زميلهِ بسنة وعاد من السياحة بلا نتيجة تذكر وكان جل اعتمادهِ في الاكتشاف على قبائل الاسكيمو الضاربة في الاصقاع المتجمدة ولكنهُ بلغ موضعاً عَسُرَ على هؤلآء المساكين ان يتجاوزوهُ ورأى ان مجاري المآء في الانحآء القطبية جارية في غير طريقهِ وان نقل الزاد اعسر مما خمّن يوم حسب حساب هذا السفر في نيويرك فاضطر الى الرجوع كما رجع غيرهُ والقطب الشمالي بعيد عن الانظار . هذا غير ان البرد الشديد هرأ بعض بدنهِ ففقد سبعاً من اصابع رجليهِ . وقام بعد ذلك العلامة بولدون الاميركي بمال صديق لهُ من سراة الاميركان اسمهُ زيجْلَر فسلك سبيل الدوك دابروزي وهو الذي جاب الاقطار الشمالية سنة ١٨٩٩ عن طريق كرستيانا وارض فرنسيس يوسف وهي طريق السفر

رأساً ويظنون انها لا تفيد في الوصول الى غاية الباحثين . وقد اخذ بولدون معهُ ٤٠٠ كلب من كلاب الشمال ومئة حصان روسي من التي تعودت السير على الجليد وانفق من ملايين صاحبهِ زيجلر بلا حساب على المؤن والمعدات وكان يؤمل بلوغ القطب على العربات الزحافة من ناحية اوربا والرجوع الى عالم الحضارة عن طريق اميركا في جهة جُرينلاند التي ذكرناها قبل الآن

ولا حاجة الى وصف بقية ما فعل السائحون الذين يقصدون القطب فوق البر أو البحر فانهم كثيرٌ عديدهم وفي جملتهم افراد ما زالوا حتى الساعة في سياحتهم لا نضمن لهم السلامة واذا هم رجعوا فان النفع من اتعابهم غير مضمون . واما السفر الى القطب الشمالي في الهوآء فقد خطر لكثير من الناس هذه السنين واستعدّ لهُ عشرات من اصحاب الهمم ولكنهُ لم يقم لهذه الغاية في الهوآء غير رحالة نروجي ذاع صيتهُ في الاقطار هو الاستاذ اندريا ذهب من نحو ٨ سنين في منطاد مع بعض الرفاق وهو يؤمل بلوغ الغاية القصوى والرجوع على عجل فانقطعت اخبارهُ والناس يرجحون انهُ اصاب منطادهُ مكروه فوقع الى الارض وهلك مع رفاقهِ الاشداء لانهُ لو كان حيًّا لما عسر عليهِ ان يبلّغ خبر بقآئهِ ومعهُ حمام الزاجل وغيرهُ من وسائل المراسلة التي استعدّ لها قبل سفرهِ الغريب

واما الوصول الى القطب في المآء الكائن تحت الجليد الذي يفشو في البحار الشمالية فانهُ من آرآء بعضهم وهم يظنون ان الغوّاصات السريعة تبلغ القطب من شواطئ اوربا الشمالية على اهون سبيل غير ان هذه

الطريقة لم يجربها احد حتى اليوم فلا حاجة الى الاسهاب فيها

ومن الطرق التي اقترحها الباحثون طريقة الاميرال مخاروف الروسي وهو الذي قُضي عليهِ في معارك پورت ارثر البحرية بين الروس واليابانيين وكان يزعم ان الوصول الى القطب ممكن عن طريق البحار الشمالية وفي باخرة مثل التي صنعتها حكومة الروس لمثل هذا الغرض واسمها ارماك تسير فوق الجليد وتكسّرهُ وهي سائرة على مهلٍ فلا يردها الجليد عن بلوغ المراد. ومن رأي الكبتن برنييه الكندي ان طريقة مخاروف ممكنة وهو ينوي تجربتها يوماً وسيأخذ في سفينتهِ آلة التلغراف المركوني حتى يرسل اخبارهُ الى مراكز الحضارة ساعةً بعد ساعة ويدعو الناس الى انجادهِ اذا لزم الانجاد . وفي ظننا ان تلغراف مركوني هذا سيكون من اكبر الوسائل المسهّلة لبلوغ القطب لانهُ يقدر المكتشف معهُ ان يعلِم الناس بمركزهِ واحوالهِ كما تقدم القول وقد كان معظم الخطر في السياحات السابقة من انقطاع السائحين في وسط الجليد بلا معين ولا زاد ولا سبيل الى مراسلة الآخرين . وهم لا يحسبون للمرض حساباً في تلك الاصقاع لان الهوآء مقوٍّ للابدان والامراض لا تنمو جراثيمها لشدّة البرد حتى انهُ ليمكن ان يقال ان الانحآء القطبية خالية من هذه المكروبات التي اقلقت راحة الناس في بقية الاقطار ونشرت في مدائنهم الاوبآء القتالة واودت بهنآء الوجود

هذا الذي رأينا ان نبسطهُ الآن عن طرق الوصول الى القطب ولعلنا سنسمع بطرقٍ اخرى وحملات جديدة في هذه الاثنآء فانهُ لا بد

للناس من الاستمرار على طلب الغاية البعيدة والسر المجهول الى ان يتم لهم المراد • ولقد كان الناس من قدم يرمون الى هذه الغاية حتى ان الملك ألفرّد الانكليزي ارسل قوماً لاكتشاف « سقف العالم » على ما يقولون وروى الروم قصصاً عن بحري من كبارهم قديم اسمهُ بثياس سافر الى الشمال لمثل هذه الغاية ولم يذكروا الى اي حد ذهب ولكنهم قالوا انهُ بلغ موضعاً ابت الشمس فيهِ ان تشرق على الارض فهالهُ الامر ورجع من فورهِ الى بلاد الانس والشمس . ويؤخذ من هذا ان الرحّالة الرومي القديم سبق رجال اوربا الى النواحي القطبية بقرون . وقالوا في رواية صاحبنا بثياس انهُ بلغ في اول امرهِ ارضاً لا تغيب الشمس عنها فسحرهُ هذا النهار الدائم وتقدم الى الشمال ايضاً فبلغ ارضاً لا تشرق الشمس فيها وهناك تولاهُ الرعب فعاد ولكنهُ رأى قبل رجوعهِ سوراً عظيماً هائلاً يحيط بالارض هو على ما ظن حدّ العالم والفاصل بينهُ وبين ما لا يعلم العالمون . واهل هذا الزمان يعلمون ما جهل بثياس واهل زمانهِ عن موعد شروق الشمس وغروبها في القطب ولكنهم يجهلون موضع هذا القطب جهل الاقدمين غير انهم عقدوا العزائم على بلوغهِ وحل لغزهِ فالامل انهم يفوزون بعد ما تقدم من شرح طرقهم وجهادهم في هذا السبيل

الكلية الشرقية

تلقينا الكتاب السنوي لهذه المدرسة الزاهرة عن سنتها السابعة وهو يتضمن بيان تأريخها وعدد تلامذتها وفِرَقها واسماء اساتذتها وما

يدرَّس فيها من اللغات والعلوم فآنسنا فيهِ من دلائل التقدُّم المستمرّ ما تعوّدنا ان نتلو أنباءهُ عنها كل سنة بين زيادةٍ في عدد الطلاب وتوسيع نطاق الدروس وتوفير الموادّ العلمية والفنّية بحيث اصبحت على حداثة عهدها من احفل مدارس الوطن واكملها استعداداً. وحسبك ان عدد تلامذتها بلغ في السنة الماضية فوق المئتين بعد ان كانوا في السنة الاولى لا يزيدون على ٩٤ تلميذاً ولذلك اضطُرّت في السنة الاخيرة ان تزيد في ابنيتها الى ما يُؤوِي ٢٥٠ تلميذاً فما فوق . ولا ريب عندنا انها مع ما صادفتهُ الى الآن من ثقة اهل الوطن بها واقبالهم عليها ومن تعهُّد اولياء الامور لها بالمؤازرة والتعضيد مع ما هو مشهور من عناية حضرة رئيسها الفاضل وبراعة اساتذتها لا تلبث ان تبلغ اقصى ما يتمناهُ لها كل وطنيّ من الشهرة والنجاح

وفي هذا المقام نكرّر جميل ثنائنا على حضرة الرئيس المشار اليهِ لما يبذلهُ من الدأب والسهر في سبيل نجاحها والبلوغ بها الى تحقيق الغرض الذي أُنشئت لاجلهِ ألا وهو اخراج شبانٍ ذوي علمٍ صحيح ووطنيةٍ صادقة يستطيعون ان ينتفعوا بعلمهم ويكونون من رجال الوطن القائمين بنصرتهِ وتعزيزهِ كما نثني على رجال هذه الرهبانية الكريمة التي تقدمت سائر رهبانيات البلاد في اقامة هذا المعهد العلميّ الجليل ونرجو ان تكون قدوةً لغيرها من سائر الرهبانيات بحيث تكون كلها يداً واحدة في العمل على رفع شأن الوطن وكفّ الايدي العائثة فيهِ والله لا يضيع أجر العاملين

مطالعات

طريقة جديدة لعمل الخبز — تألفت شركة في لندرة باسم شركة شريدِد هوِيت اعلنت انها تعالج الحنطة وتحوّلها الى خبز بدون ان يُضطرّ الى طحنها . وذلك انهُ بعد ان ينقّى الحبّ يُغلَى مدة ٣٠ دقيقة الى ان يلين واذ ذاك يُجعَل بين اسطوانتين قد حُزّزت احداهما حزوزاً لولبية فاذا أُديرت احدى هاتين الاسطوانتين على الاخرى خرجت الحبوب على شكل خيوط متصلة فتُعجَن هذه الخيوط وتُجعل رغفاناً او اقراصاً او غير ذلك

فرائس الحيوانات الضارية في الهند - جآء في احصآء رسمي في الهند ان قد بلغ عدد الذين قتلتهم الفهود في الهند الانكليزية في السنين الخمس الاخيرة ٤٩٢٥ نفساً وعدد الذين افترستهم الذئاب في المدة عينها ١٩٩٦ . اما الاسود فلم تفترس الاّ شخصين فقط على ان الاسود قد قلّت كثيراً في تلك البلاد واصبحت محصورة في غابة تُعرَف بغابة جيِر وهي لا تزيد على ٢٠٠ اسد وصيدها مخصوص براجَوات الناحية وقد حُظِر على الاهالي وعلى قنّاصي الاوربيين ان يتعرضوا لها

جائزة الكلاب — جآء في احدى المجلات الفرنسوية ان جمعية الدفاع عن الحيوانات اجازت كلبين بطوقي شرف لانهما انقذا بعض المسافرين من خطر الغرق

آثار ادبيّة

حضارة الاسلام في دار السلام — اهدى لنا حضرة الكاتب البارع جميل افندي المدوَّر نسخةً من مؤلفٍ لهُ بهذا العنوان وصف فيهِ الحضارة الاسلامية في خلال المئة الثانية للهجرة فجعل ذلك على لسان رحّالةٍ من الفُرس جاب البلاد الاسلامية وطاف في مدن العراق والشام والمغرب ومصر والحجاز فكتب ما عنّ لهُ في عشر رسائل ضمّنها وصف ما شاهدهُ في كل واحدة من تلك المدن من أبنية وقصور ومعابد واسواق وبساتين وذكر ما حدث لوقتهِ من الوقائع التاريخية وما دار من الاحاديث بينهُ وبين من لقيَهُ من رجال السياسة واكابر اهل الدولة وما شهدهُ من مجالس العلم ومواقف الخطابة . وتكلم على الخلفآء واخلاقهم ووصف دورهم ومجالسهم ومواكبهم وما بلغت اليهِ دولتهم من الفخامة والأُبَّهة وامتداد الفتوح وما حدث لعهدهم من اتّساع العمران وما كان لهم من الرغبة في العلم والاشتغال بهِ الى ما يتصل بكل ما ذُكر من طرائف الاخبار وحقائق التأريخ مما لا يُعثَر عليهِ الاّ بمطالعة الكثير من المجلدات ولا يُظفَر بالكثير منهُ الاّ في المكاتب الكبرى . وقد نقل ذلك كلهُ عن مصنَّفات التأريخ والشرع وكتب الممالك والبلدان والسِيَر وغيرها مما تبلغ جملتهُ زيادةً على ٨٠ سفراً من كتب المتقدمين فجاء كتابهُ كانهُ وصف مُشاهِدٍ من اهل ذلك العصر رأى بعينهِ وسمع باذنهِ فوصف كل شيءٍ وصفاً مدققاً

وقد طُبع هذا الكتاب الطبعة الثانية في مطبعة المؤيد مضافاً اليهِ

زيادات لم تكن في الطبعة الاولى ومصححاً فيهِ بعض الروايات والاخبار فجاء فيما يقرب من ٤٠٠ صفحة وهو يباع في المطبعة المشار اليها وثمنهُ ٢٥ غرشاً مصرياً خلا اجرة البريد وهي ٤ غروش

تاريخ التمدن الاسلامي — صدر الجزء الرابع من هذا المؤلَّف الجليل الذي عني بتأليفهِ حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغرآء . وهذا الجزء يتضمن الكلام على دُوَل الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من خلفاء الامويين فالعباسيين فخلفآء بني امية بالاندلس والفاطميين بمصر وسياسة كل دولةٍ منهم وما كان بينهم من المنازعات على السلطة وانتقال الامر من دولةٍ الى دولة حتى خرج من ايدي العرب بتةً . ثم الكلام على الدول الفارسية والتركية والكردية والعصر المغولي وما تخلل جميع ذلك وتلاهُ من الحوادث مع الالماع الى اسباب تلك الحوادث ومسبباتها مما اقتضى ولا ريب جهداً عظيماً في المطالعة والتنقيب وقد شفع كل حادثٍ بشواهدهِ من الكتب القديمة . فنثني على حضرة الرصيف الفاضل لما يعانيهِ في هذا الكتاب ونحض القرآء على مطالعتهِ وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة منهُ عشرة غروش مصرية

ديوان الرافعي — صدر الجزء الثاني من هذا الديوان لحضرة ناظم عقدهِ مصطفى صادق افندي الرافعي الشاعر المشهور وقد تصفحنا الجانب الاكبر منهُ فوجدناهُ كصنوهِ الذي سبقهُ مشتملاً على كثيرٍ من الحسنات

واللطائف والمعاني المخترعة . وهو مقسوم الى ابوابٍ اولها في التهذيب والحكمة والثاني في النسآئيات والثالث في الوصف والرابع في المديح والخامس في الغزَل والنسيب والسادس في الاغراض والمقاطيع . وقد صدّرهُ بمقدّمة بليغة في سرقة الشعر وتوارد الخواطر احسن فيها لولا انها تومئ الى اغراض كان يحسن ان يختار لها غير هذا الموضع ولولا ان فيها نظراتٍ قد لا يحتجب عنها بعض ما في الديوان .. ومن حسناتهِ في باب الغزل قولهُ

قاسوكِ يا شمس الضحى　　بالبدر ظلماً والهلالِ
يأبى جمالكِ ان يُقا　　سَ وانتِ مقياس الجمالِ

على ان الناظم لم يبرأ من ذلك الظلم غير ان الذي يشفع فيهِ انهُ رفعها عن البدر والهلال وقاسها بالشمس . ومن رقيق نظمهِ قولهُ وهوِ من بحر المتدارَك استعملهُ صحيح الاجزاءِ الاّ انهُ نصّف اشطرهُ فاكسبهُ بذلك خفةً وعذوبة

شفَّني بعدُ من　　لم يَئِن قربُهُ
شادنٌ لم يزل　　قاسياً قلبُهُ
ان يقولوا لهُ　　مَضَّهُ حبُّهُ
قال عذري الهوى　　والهوى ذنبُهُ

فنشكر حضرتهُ على ما اطرفنا بهِ من هذه الهدية النفيسة ونثني على قريحتهِ الفياضة. والديوان يباع في المكتبة الازهرية بالسكة الجديدة بالقاهرة وفي سائر المكاتب المشهورة وثمنهُ خمسة غروش مصرية

فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ٨ —

لما كان ما نشرناهُ في السنة الماضية من روايات جيرار وشرلوك قد صادف احسن وقع في نفوس القرآء وآنسنا منهم الميل الى المزيد منها لانها على غير النغم المعروف عادةً في الروايات رأينا ان نعود على ذلك البدء فنسرد لهم سلسلة اخرى من حكايات جيرار اللطيفة عن نفسهِ ثم نعقبها بسلسلةٍ من روايات شرلوك التي تتضمن من مهمّ الوقائع وغريبها ما عرفوهُ فضلاً عما فيها مما يفيد المطالع بصيرةً ودربةً في الامور فنقول

بعد ان اتمّ الكولونيل جيرار حكاياتهِ السابقة رجع الى بلدتهِ في غسقونيا ولكنهُ لم يلبث ان سئم الوحدة ومل من السكون . وكانت لا تزال تنتابهُ افكار الحرب ويتخيل المواقع التي خاض غمارها محفوفاً بالجنود والفرسان تصم آذانهم اصوات الموسيقى وقرع الطبول ودويّ المدافع فنسي انهُ اصبح شيخاً طاعناً في السن وترآءى لهُ ان واجباتهِ العسكرية تدعوهُ الى الانضمام تحت لوآء فرقتهِ . فاخذ عصاً يتوكا عليها وقد خالها سيفهُ البتار ثم واصل السير بالسرى الى ان بلغ باريس فوجد فيها السلام بدل الحرب وضروب القصف والملاهي عوضاً عن المعامع فقلب شفتهُ علامة عدم الارتضآء وسدد خطواتهِ الى النادي الذي كان يزورهُ سابقاً . وما دخلهُ حتى رآهُ بعض الضباط الذين سمعوا حكاياتهِ السابقة فاسرعوا لملاقاتهِ وصافحوهُ بمنتهى الشغف والاحترام وكادوا يحملونهُ الى داخل النادي حيث

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

اجلسوهُ وطلبوا لهُ شراباً ثم تألبوا من حولهِ مسرورين بلقياهُ . اما جيرار فسرهُ ما رأى من اهتمامهم بهِ فرفع رأسهُ ونصب صدرهُ ثم فتل شاربيهِ ولمعت في عينيهِ نار التيه والخيلاء وقال حسناً تفعلون ايها الاحباء في اكرام شيخ نظيري لانكم بذلك تكرمون انفسكم وتكرمون فرنسا وطنكم لانني لست كما تروني رجلاً نظير بقية الرجال بل انا التاريخ بعينهِ بل انا امثل لكم بقية اولئك الابطال الذين دوخوا البلاد وقضوا عشرين سنة يعلمون اوروبا كيف تكون الحرب ودخلوا برلين ونابولي وفينا ومدريد ولسبون وموسكو فجعلوها اصطبلات لخيولهم . نعم يحق لكم ان تفتخروا بي وان ترسلوا اولادكم بباقات الازهار ليلقوها امام قدميَّ لانني رفعت اعلام فرنسا على مدنٍ وعواصم لن تصل اليها من بعد

انكم تودون سماع حديثي اما انا فيسرني ان اقص عليكم ما يثير في صدوركم نيران الحماسة والشجاعة فلذلك لا اقص عليكم ما نلتهُ من الفخر والرتب والاوسمة بل ما قاسيتهُ من الشدائد وما ركبتهُ من المخاطر

بعد ان اخذنا دانزيك أُرسلت مع الماجور لجاندر الى پروسيا لاحضار اربعمائة ركوبة عوضاً عن التي فقدتها الفرسان في معركة ايلو لا بسبب بسالة العدوّ بل من شدة البرد . وكنت كما اخبرتكم سابقاً مولعاً بالخيل عارفاً بصفاتها اعرف قوة الجواد وسرعة سيرهِ وخصالهُ من مجرد نظري اليهِ . فسرنا في هذه المهمة حتى اجتزنا نهر ڤستولا وبلغنا ريسنبرج فدخلنا فندقاً لتناول الطعام . وبعد قليل دخل عليَّ الماجور لجاندر وعلامات القنوط على وجههِ فقال يسوءني يا جيرار انني تلقيت الساعة امراً من الجنرال لاسال يطلب حضورك حالاً الى روسل . ولا تسألوا عن سروري بهذا الطلب لانني علمت ان الجنرال لاسال ينوي القيام بمعركة هائلة وقد عرف ان فرقتي لا تكون كاملة بدوني فتوقعت النصر وكدت اطير فرحاً . ولا انكر ان شيئاً واحداً ساءني وهو ان صاحب الفندق كان لهُ ابنة جميلة الصورة لها بشرة كالعاج وشعر كالليل كنت اود ان لا افارقها غير ان الاوامر العسكرية لا تخالف فاسرعت الى جوادي رتابلان فامتطيتهُ وسرت تاركاً شيئاً من قلبي عند تلك الفتاة .

وكنت امرّ على قرى البولنديين بلباسي الجميل وشبابي الفتان ويزيد في جمالي هيئة جوادي الذي كنت قد انتخبتهُ كبقية خيولي من بين المئات . فكنت ارى في نوافذ البيوت عيون النسآء تتخاطف النظر اليّ وكأنهنّ يتمنينَ ان اقيم بينهنّ وهنّ لا يعلمنَ ان الجندي غير مطلق القياد فكنت الثم يدي وارسل لهنّ قبلة في الهوآء ثم احركُ لجام جوادي فيطير بي كالسهم

ولما تناصف النهار بلغت سالفيلد وسرت من هناك في غابٍ كثيف فمررت في طريقي بشرذمة من فرسان الهوسار فسررت بمشاهدتهم وخصوصاً عند ما حيوني التحية العسكرية . ثم تقدم اليّ رئيسهم وكان فتًى جميل الصورة تلوح عليهِ دلائل الشجاعة فحيتهُ وقلت انني انا الملازم اتيان جيرار . وتبين لي من اسارير وجههِ انهُ لا يجهل اسمي فتبسم وقال انا اسمي ديروك ولم اكن قد سمعت باسمهِ قبلاً . فقلت يظهر انك حديث عهدٍ بالخدمة قال نعم فقد أُلحقت بالجيش منذ الاسبوع الماضي وكنت قد لاحظت ذلك من عدم اهتمامهِ بحفظ نظام رجالهِ . ثم سألتهُ عن وجهتهم فقال انهُ مع رجالهِ مسؤولون عن حراسة الطريق بين ذلك الموضع ومحلة ارنسدورف . فقلت يسرني اذاً ان ارافقكم الى هنـاك ولبثنا سائرين جميعاً وانا وديروك في الامام يتبعنا الجنود الستة وكانوا عند ما القيت عليهم نظري قد شعروا انهم امام ضابط خبير فساروا بنظام وسكون

ومررنا في طريقنا على قرية هاينو فمال ديروك الى محل البريد وسأل الوكيل هل يوجد في تلك الجهات رجل يدعى البارون سترو بنتال فقال لا . ولم أهتمّ انا بهذا السؤال حتى رأيت ديروك يكررهُ في كل موقع بريد فسألتهُ من هو هذا البارون الذي تسأل عنهُ . فقال هو رجل له عندي رسالة مهمة . ففهمت ان في الامر ما لا يود ان يطلعني عليهِ فامسكت عنهُ . ولما قاربت الشمس المغيب بلغنا اكمة اشرفنا منها على قرية عن يميننا والى يسارنا قصرٌ ضخم البنآء محاط بالاشجار الكبيرة الكثيفة . ومر بنا فلاح يجر مركبةً صغيرة فسألهُ ديروك عن اسم القرية فقال انها ارنسدورف . فقال هي المكان التي يجب ان ابيت فيهِ الليلة . ثم سأل الفلاح هل

يعرف رجلاً في تلك الجهات يدعى البارون ستروبنتال . فقال الفلاح نعم اعرفهُ فهو المشهور بصاحب القصر المخيف وهذا قصرهُ واشار الى القصر الذي كنا قد رأيناهُ بين تلك الادغال . وما سمع ديروك الجواب حتى كاد يثب عن جوادهِ وبانت على وجههِ علامات يتجاذبها السرور والغضب حتى خاف الفلاح وهمّ بالمسير فاستوقفتهُ وقلت لماذا تسمونهُ صاحب القصر المخيف . فقال لما نسمع عما يجري في قصرهِ من الامور المخيفة من مدة اربع عشرة سنة . فقلت وهل هو من اشراف بولندا . قال كلا بل هو فرنسوي . فقال ديروك وهل هو اشقر الشعر . فقال الفلاح نعم حتى يكاد يبلغ الحمرة . فصاح ديروك قائلاً الحمد لله فهو الرجل الذي اطلبهُ وقد قادتني يد العناية اليهِ فهلمَّ معي ياسيدي جيرار لانهُ يجب ان اوصل رجالي الى محل نزولهم قبل ان اتفرغ لقضآء اشغالي الخاصة . ثم مضينا في طريقنا حتى بلغنا القرية ودخلت الفرسان الى محل اقامتها . اما انا فعزمت ان لا ابيت تلك الليلة هناك وان اتابع مسيري حتى اصل الى الجنرال روسل وانضمّ الى فرقتي فلما عرف ديروك قصدي نظر اليَّ مستعطفاً وقال اتتركني يا سيدي في مثل هذه الحالة . قلت انني اجهل ما انت فيهِ فاية مساعدة يمكنني ان اقدمها لك . فقال اني قد سمعت عنك كثيراً يا مولاي مما يؤكد لي انك الرجل الوحيد الذي استطيع ان استعين بهِ فاذا بقيت هنا في هذه الليلة اوليتني فضلاً عظيماً وانقذت شرفي وشرف اسرتي . ولست اكتمك انني ساجتاز خطراً شخصياً قد يذهب بحياتي . فلما سمعت كلمة الخطر ادركت ان في الامر شيئاً مما احب ممارستهُ فوثبت عن ظهر رتابلان الى الارض وامرت الخادم ان يدخلهُ الاصطبل ودخلت مع ديروك فجلسنا الى مائدة وسألتهُ عن امرهِ وماذا يروم مني ان افعل . فقال ان والدي هو خريستوفور ديروك صاحب المصرف المشهور الذي قتلهُ الشعب في مذابح ستمبر التي لا تنسى . ولا يخفى عليك ان الشعب هجم في ذلك الوقت على السجون وألّف محكمة قضاتها ثلاثةٌ منهم لاعدام الشرفآء المسجونين فاذا صدر الحكم كانوا يمزقونهم على الطريق قبل وصولهم الى محل الاعدام . اما والدي فكان محسناً الى الجميع وكان الشعب يحبهُ

فطلب كثيرون ان لا يحكم عليهِ ولا سيما لانهُ كان قد مرض في سجنهِ بالحمى فحملوهُ بسريرهِ كالميت الى كرسي القضآء . وكان اثنان من القضاة يودان اطلاق سراحهِ اما الثالث وكان أولئك القتلة قد جعلوهُ رئيساً لهم لقوة جسمهِ وشراسة خلقهِ فانهُ نهض ورمى والدي عن سريرهِ ثم رفسهُ برجلهِ مراراً الى ان اوصلهُ الى الباب وكانت الجموع تنتظر في الخارج وقد استولى عليهم جنون من كثرة الدمآء التي اهرقوها فما بلغ جسم والدي الخارج حتى هجموا عليهِ بدون ان يعرفوهُ ومزقوهُ قطعاً

ولما راقت الحال وعاد الامن اخذ اخي الاكبر يبحث عن قاتل والدي وكنت لا ازال صغيراً فسمعت الحديث بين افراد اسرتنا وعلمت ان الوحش الذي فعل تلك الفعلة الشنعآء هو احد رجال الحرس واسمهُ كارابين وانهُ كان بين الشرفآء سيدة اجنبية تدعى البارونة ستروبنتال سعى كارابين بخلاصها على شرط ان تتزوجهُ وتهبهُ املاكها وثروتها فقبلت ثم تزوج بها وهرب من فرنسا . وكان يسهل علينا ان نجدهُ بعد معرفة اسمهِ وصفاتهِ غير ان تلك الثورة المشؤومة كانت قد افقدتنا جميع مالنا ثم جآءت الامبراطورية وانت تعلم ان نابوليون كان يعاقب بشدة كل من يذكر او يجلب ذكرى تلك الايام الماضية فلزمنا السكوت . وفي تلك الاثنآء دخل اخي الجندية وكانت خدمتهُ في جنوبي اوربا فلم يفتر عن السؤال عن البارون ستروبنتال غير انهُ لما كان شهر اكتوبر الماضي سقط قتيلاً في معركة جينا فاخذت على نفسي القيام بذلك ودخلت الخدمة وقد ساعدتني التقادير ان اعثر على غريمنا وزيادةً على ذلك ان يكون مرافقاً لي جيرار الشهير الذي لم يرد ذكر اسمهِ قط الا مقروناً بالاعمال المجيدة التي قام بها والمخاطر الشديدة التي خاضها سالماً

وكنت اسمع حديث ديروك الى نهايتهِ فسرني ما قالهُ اخيراً من الحقائق فقلت لهُ وماذا تروم مني ان افعل . قال ان تأتي معي الساعة الى قصر هذا اللعين وهناك اعلم ماذا يجب ان افعل . ولم تخفَ عليَّ جسامة الامر وكان ذلك ما أحب الدخول فيهِ فقلت اني لا اكون الا عند ظنك بي فهلمّ . وللحال انطلقنا تحت جنح الظلام

ولم نستصحب خيولنا بل حملنا سلاحنا ووضعت غدارتي في جيبي لانني ايقنت انهُ لا بد من حصول امر خطير في تلك الليلة . وكان القصر المذكور يبعد نحو ميل عن محل اقامتنا فاتبعنا الطريق وهي ملتفة بين الادغال حتى واجهنا القصر فالفيناهُ مظلماً الا غرفةً واحدة وبلغنا بابهُ فكان مصفحاً بالحديد لا جرس فيهِ ولا حلقة فجعلنا نقرعهُ بمقابض سيوفنا حتى فتح لنا رجل ضعيف الجسم لهُ لحية كثيفة تغطي وجههُ وبيدهِ مصباح وباليد الاخرى زمام كلب شرس كانهُ النمر . فقال الرجل ان البارون سترو بنتال لا يستقبل زائرين في مثل هذه الساعة . فقال رفيقي انني جئت من مسافة ثماني مئة غلوة لاراهُ فلست براجع قبل اقابلهُ . فقال الرجل ان شئتم الحقيقة فالبارون سكران في هذه الليلة فلا تسرون بمحادثتهِ . وكان الباب قد فتح قليلاً فرأينا في الغرفة ثلاثة رجال قباح الصورة ومع احدهم كلب آخر فوثب ديروك الى الداخل قائلاً حسبك يا هذا فلا بد من مقابلة مولاك وتبعتهُ انا مسروراً من شجاعتهِ. ثم طلب من احد الرجال ان يوصلنا الى غرفة البارون فسار امامنا الى ان ادخلنا غرفةً صغيرة في وسطها مائدة ولها بابٌ آخر غير الباب الذي دخلنا منهُ وعند طرف المائدة رجل غليظ الجسم لهُ رأس كرأس الاسد مغطى بشعر كثيف برتقالي اللون ولهُ لحيــة اثيثة كعرف الجواد اما هيئتهُ فوحشية لم أرَ اقبح منها وكان رأسهُ يميل من السكر . فلما صرنا امامهُ قال هل لديكما ايها الفتَيان اخبار عن باريس فقد سمعت انكم اتيتم لتحرروا بولندا فاصبحتم جميعكم اسرى فيها يقودكم رجل صغير لا عقل لهُ . وكان ديروك قد تقدم حتى صار بقربهِ فقال لهُ يا جان كاراببن . . . وقبل ان يتم كلامهُ اذا بالرجل قد جحظت عيناهُ واتقدت فيهما نيران الجحيم وقال من انت يا من يدعوني بهذا الاسم . فقال ديروك يا جان كاراببن انني من زمن طويل جدًّا اجتهد في مقابلتك فاعلم انني انا ديروك ... واجتهد الرجل ان يتبسم غير ان دلائل الخوف كانت بادية على وجههِ فثبت جأشهُ وقال ما مضى فقد مضى يا عزيزي وقد كنتُ ووالدك ضدَّين من حزبين مختلفين فنجوت انا وسقط هو فهذه نتائج الحروب و ...

فقاطعهُ ديروك قائلاً كفى كفى فاني لو اغمدت سيفي الآن في صدرك لما كنت فعلت الا العدل ولكنني اشين شرف سيفي لو فعلت فانهض ودافع عن نفسك

فقال هازئاً يسرني ان ارى في دم الفتيان مثل هذه الحدة ولو كانت في غير وقتها . واذ ذاك هجم ديروك فلطم البارون على وجههِ لطمة شديدة رأيت بعدها الدم يتدفق من فم البارون على لحيتهِ فنهض وقال ستموت يا هذا بسبب هذه اللطمة فانتظرني ريثما احضر سيفي . ولما قال هذا خرج من الغرفة وللحال فُتح الباب الآخر ودخلت منهُ فتاة في مقتبل العمر وتمام الجمال وعليها علامات الخوف فنظرت الى ديروك وقالت عافاك الله يا سيدي فدعني اقبل يدك التي لطمتهُ بها . فقلت لها ولمَ ذلك . قالت لانها اليد التي ستنتقم من هذا الوغد الظالم فانني ابنة البارونة سترو بنتال التي تزوج بها هذا الوحش الضاري حتى امتلك كل مالها ثم قتلها هنا كما قتل كثيرين غيرها وتركني في هذا السجن اقاسي اصناف العذاب . وسمعنا وقع اقدام البارون راجعاً فاختفت الفتاة كما ظهرت.واذا بهِ قد دخل و بيدهِ سيف ومعهُ الرجل الذي فتح لنا الباب فقال ان هذا شاهدي فاستعدّ للموت . ثم نظر الى الغرفة فقال ان وجود المائدة يعوقنا عن البراز بسهولة فهلمَّ بنا الى غرفة اوسع ثم سار امامنا فتبعناهُ حتى بلغ باباً فتحهُ وتنحى مشيراً الينا بالدخول فدخلنا قبلهُ ولم تطأ اقدامنا العتبة الداخلية حتى اقفل علينا الباب من الخارج وتركنا مسجونين ليهلكنا بتلك الطريقة الدنيئة . اما انا فطار صوابي واسرعت الى الباب اقلقلهُ وارفسهُ وانادي بأعلى صوتي شاتماً لاعناً ولكن لا سميع ولا مجيب . ولم يكن للغرفة سوى نافذة صغيرة جدًّا لا يستطيع الشخص ان يخرج رأسهُ منها وكانت عالية عن الارض فوثبت على برميل كان بالقرب ونظرت من النافذة فرأيت طريقاً ضيقاً بين الادغال وابصرت فارساً يحث جوادهُ فعلمت انهُ رسول اوفدهُ البارون يستدعي بعض رفاقهِ في اللصوصية ليفتكوا بنا . وكان في الغرفة مصباح صغير اخذتهُ بيدي وجعلت ابحث في سجننا فالفيتهُ مستودع مؤونة القصر ملآن بالبراميل واكثرها فارغة ثم وجدت بعض الماكولات وكنت جائعاً فاكلت وشربت قليلاً من الخمر . امـا

ديروك فكان كاللبوءة الفاقدة اشبالها يسير في ارض الغرفة ذهاباً واياباً وهو كمن فقد رشده. ثم اني جعلت ألوم نفسي على ذهابي معهُ وقلت ان انا مت هنا فمن يدري كيف مات جيرار ومن يقوم بعدي بالاعمال العظيمة التي كان من نصيبي ان أقوم بها . وكأن ديروك خطر لهُ ما خطر لي فجعل يعتذر اليَّ عما أوقعني فيهِ فقلت لهُ دع هذا الآن ولنفكر في طريقة للنجاة . قال ما رأيك لو اشعلنا النار واحرقنا الباب . قلت لا اسهل من ذلك فهذا برميل الزيت ولدينا نور المصباح ولكن من يضمن لنا ان لا نشوي لحمنا في هذا الحريق . واذ ذاك سمعنا من النافذة صوتاً رخيماً فنظرنا فاذا بالفتاة وهي تقول اسرعا فانهم ارسلوا يستدعون القوزاق وانما هالكان . ثم صاحت بخوف الويل لي فقد هلكت . واذ ذاك سمعنا وقع اقدام ثقيلة وصوتاً راجفاً يقول لها تبًّا لكِ من خائنة ثم اختفت عن نظرنا و بقينا وحدنا . وكنت قد شعرت ان الفتاة القت بشيء الى الغرفة فبحثت فوجدت مفتاحاً اختطفهُ ديروك من يدي واسرع بهِ لمعالجة القفل فوجدهُ صغيراً جدًّا يدخل كلهُ في الثقب بدون فائدة فعاد حزيناً وهو يقول تبًّا لهم فسيقتلونها لا محالة . اما انا فلم اكن لافقد درايتي وحكمتي وعلمت ان لا بد للمفتاح من نفع والا لما احضرتهُ لنا الفتاة تحت ذلك الخطر . فجعلت ابحث في جميع الجدران وارفع البراميل من محل الى آخر حتى ظهر لي وراء احدها باب يكاد يمحى رسمهُ فوضعت فيهِ المفتاح وعالجتهُ ففتح فطارت انفسنا من الفرح . ثم دخلت مع ديروك فوجدنا اننا صرنا الى مخزن البارود وفيهِ براميل عديدة احدها مفتوح والبارود فيهِ وكان لهذا المخزن باب آخر لكنهُ مقفل ايضاً . فقال ديروك وما الفائدة وليس معنا المفتاح الثاني . فقلت قد صار لدينا عدة مفاتيح فاننا بهذا البارود نفتح اي باب شئنا . ولما قلت هذا اسرعت الى صندوق صغير ملأتهُ من البارود وكان ديروك يساعدني وهو لا يعلم قصدي و بعد ان ملأناهُ جيداً حملناهُ الى الغرفة الاخرى فوضعتهُ امام الباب ثم وضعت عليهِ اثقالاً من البراميل وقوالب الجبن حتى اصبح ملاصقاً للباب تماماً وفتحت في اسفل الصندوق ثقباً صغيراً جعلت فيهِ طرف شمعة وجدناها هناك فاتممنا عملنا بغاية الدقة حتى لو

راَهُ امهر مهندسي كتائبنا لقدم لنا عبارات الشكر . ثم اوقدنا الشمعة واسرعنا الى مخزن البارود فاقفلنا بابهُ ورآءنا و بتنا ننتظر النتيجة . ولم يكن يخفى علينا ما في ذلك من الخطر ونحن بين القناطير العديدة من البارود غير ان الخطر اذا لم يكن منهُ مفرٌّ فمن الجبن تحاشيهِ. وكانت الدقائق تظهر لنا اعواماً وانا اخشى ان يمر الوقت فيصل القوزاق و يفتكوا بنا . ثم خطر لي ان تكون الشمعة قد انطفأت وحدثت نفسي ان اذهب لاراها واذا بصوتٍ يصمّ الآذان فانفتح باب المخزن الذي نحن فيهِ وقد تكسر قطعاً فرأينا قطع البراميل المكسرة وقطع الجبن المتفرقة وانواع المأكولات وقد غرقت الغرفة بالزيت والخمر . واسرعت لارى النتيجة فوجدت ان عملنا قد نجح وقد فتح باب سجننا ولزيادة الحظ ساعدتنا التقادير بقتل السجانين ايضاً فاننا لما خرجنا وجدنا اول كل شيء احد الرجال ملقى على الارض و بيدهِ فأس كبيرة وقد انشقت جمجمتهُ وسالت دماؤهُ ثم رأيت الكلب وقد بُقر بطنهُ وهو في نزع الموت . اما الكاب الثاني فكان لا يزال حيًّا فوثب الى ديروك فاستقبلهُ بسيفهِ فقطعهُ نصفين . وللحال قرع آذاننا صوت الفتاة في الغرفة المقابلة فاسرعنا اليها وفي مرورنا صادفنا رجلين ايضاً لكنهما لم يستطيعا التقدم امام سيوفنا المصلتة . واسرعنا الى الغرفة فوجدنا الفتاة مطروحة على كرسي وهي تنتحب والى جانبها البارون وقد ظهر بهيئة ابالسة الجحيم فلما رآنا انتضى سيفهُ وهجم فقابلهُ ديروك واشتبك الاثنان في قتال عنيف ولم استطع مساعدة رفيقي لضيق المكان واشتغال نظري بالفتاة . . وكان البارون رشيق الحركة فضايق ديروك كثيراً ثم رفع يدهُ ليضربهُ الضربة القاضية فوثبت ملاقياً ضربتهُ بقفا سيفي وقلت مهلاً يا هذا فان اتيان جيرار يروم امتحان قوتك . فوقف البارون هنيهةً وقال لست انت عدوي ولا سبب بيننا للخصام . قلت كفاني انك سجنتني واهنت هذه الفتاة فاسترح قليلاً واستعدّ . ولما لم يرَ مندوحة عن القتال هجم وكانهُ كان يجهل بأسي فأريتهُ في الضربتين الاوليين ان جيرار اعظم مما يظنهُ واخذت اصاولهُ مدةً وانا اهزأ بهِ حتى ايقن انهُ مائت لا محالة فضاعف همتهُ . وكنت اود ان اطيل عذابهُ ولكنني لم انسَ القوزاق وخفت من سرعة

حضورهم فاهويت عليهِ بالضربة القاضية واذ ذاك رأيت جسمهُ الثقيل يسقط كالطود الى الارض والدم يتفجر من صدرهِ . وفي تلك الدقيقة شممت رائحة الدخان ولمع حولنا نور احمر علمت معهُ للحال ان القصر يحترق فاسرعت الى الباب فوجدت ان اللغم الذي كان سبباً لنجاتنا قد الهب الزيوت والاخشاب في المخزن فاتقد القصر ثم خطر لي انهُ عن قريب ستتصل النار الى مخزن البارود فلا يبقى لنا مقدار ذرة من الامل في النجاة . وكان ديروك ملقى على الارض منهوك القوى من بعض جراح اصابتهُ فحملتهُ كالولد الصغير وادركت الفتاة سبب خوفي فساعدتني في حملهِ واسرعتُ في الخروج وما زلت كذلك الى ان بلغنا طرف الغابة واذا بصوت كالرعد القاصف قد اصمّ آذاننا وتبعهُ صوت آخر اقوى منهُ فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً وقد فقدت الشعور

ولما عاد اليّ رشدي وجدت نفسي في فندق ارنسدورف وقد مرّت عليّ فيهِ عدة اسابيع بعد تلك الحادثة . واخبرني ديروك ان الصوت الاول الذي سمعناهُ كان انفجار مخزن البارود والصوت الثاني كان سقوط القصر وقد نُسف من آساسهِ وان شظية خشب اطارها الانفجار سقطت على رأسي فشقتهُ والقتني صريعاً وكانت الفتاة قد اسرعت وحدها الى ارنسدورف فاحضرت جنودنا فوصلوا في الوقت الذي فيهِ كان القوزاق قد اقتربوا منا ليوقعوا بنا

اما الفتاة فلم اعرف عنها كثيراً في ذلك الحين لان اول همي كان ان اصل الى حيث طلبني الجنرال روسل ولكنني لما عدت الى باريس بعد سنتين قابلت ديروك فدعاني الى بيتهِ ولم احتج الى ان يعرّفني بزوجتهِ لانها كانت هي نفس تلك الفتاة التي خلصت حياتنا مرتين . اما ديروك نفسهُ فاحرز لقب بارون سترو بنتال واستولى على املاك والدة زوجتهِ فكان ذلك من اعجب ما رأيت من استحالة الاحوال وعبر الايام والليال